د. ادمون رباط

لبنان والميثاق الوطني

كان ما يسمى « بالميثاق » دواء او حلا لمعضلة كانت قائمة عام الاستقلال ذلك ان هذا الميثاق ، وقد سمي ميثاقا فيما بعد ، قد جاء كحل وسط بين شخصين او بين فئتين او بين جمهورين في ظروف كانت غامضة وما لبثت منذ مدة قريبة ان انقشعت . ولكن لكي نتبين الاسباب التي دعت الى هذا الاحتكاك الضمني او الصريح الموصوف بالميثاق لا بد لنا من العودة الى ما كان عليه لبنان داخليا ودوليا عام ١٩٤٣ ، كانت الحرب قائمة وقتئذ واثر مؤتمر انعقد في شهر شباط ١٩٤٣ في القاهرة بوحي من انكلترة بين رئيس الجمهورية المغفور له الشيخ بشارة الخوري والمغفور له سعدالله الجابري والمغفور له جميل مردم وسواهم من زعماء الدول العربية برئاسة المغفور له النحاس باشا ، وهذه القصة تلقيتها من الشيخ بشارة الخوري شخصيا . كان اتفاقا ساريا على تحرير سوريا ولبنان في آن واحد ، غير ان المشكل الذي كان قائما كان امر المسلمين والمسيحيين في لبنان . فمن الراهن ان الدولة اللبنانية كانت وليدة تاريخ يعود بنظري الشخصي الى ٤٠٠ سنة تقريبا . ذلك ان جبل لبنان مرّ بانظمة سياسية مختلفة : كان ثمة نظام الامارة مع المعنيين والشهابيين وهو النظام الذي انهار عام ١٨٤٢ ثم نظام القائمقاميتين ونظام المتصرفية عام ١٨٦٠ ، كل ذلك جعل من لبنان دولة ثنائية ، او بالاحرى كان ثمة دولة او منطقة موصوفة بالمتصرفية ثنائية التركيب الاجتماعي بأعتبار ان عنصريها الاساسيين الموارنة والدروز بل الدروز اولا ثم الموارنة ثانيا هما هذا العنصران اللذان كونا او اسسا تلك الوحدة او تلك الذاتية الموصوفة بلبنان وفي عام ١٩٢٠ تعلمون جميعكم ان املا عظيما كان قد شوهد في دمشق وانهار في ٢٤ من شهر تموز ١٩٢٠ وهذا الحلم العظيم هو المملكة العربية الهاشمية وملكها المغفور له فيصل الهاشمي وتعلمون ان كثيرا من الرجال الموارنة ذاتهم كانوا قد ساهموا مساهمة فعالة في هذا الصرح العظيم ، اذكر بصورة خاصة المرحوم فؤاد عمون الذي كان وقتئذ سكرتيرا للملك فيصل واذكر ان شقيقه سعيد عمون كان بجانب يوسف العظمة قد سقط في ساحة الوغى في ميسلون الى ما هنالك من اسباب .

كيف نشأت الدولة اللبنانية : في عام ١٩٢٠ ،اي بعد ميسلون بأيام ، اصدر الجنرال غورو عددا من القرارات:

القرار الاول بتأسيس دولة دمشق

القرار الثاني بتأسيس دولة حلب

القرار الثالث بتأسيس منطقة العلويين المستقلة

القرار الرابع في عام ١٩٢١ بتأسيس حكومة جبل الدروز المستقلة . وخمسة قرارات صدرت بين الثالث من شهر آب ١٩٢٠ واول ايلول ١٩٢٠ . وهذه القرارات الخمسة هي في اساس الدولة اللبنانية من الوجهة الدستورية والدولية . وبمعنى آخر فان الدولة اللبنانية تأسست بموجب قرارات من المفوض السامي الفرنسي في اطار من الدول المختلفة التي اقامتها السلطة المنتدبة وقتئذ باسم الدول المشمولة بالانتداب الفرنسي .

ومن الراهن ان الجماعات الاسلامية في لبنان كانت تطالب باستمرار ، والوثائق منشورة في مؤلفاتي العربية والفرنسية ، بالالتحاق بسوريا ، وقد بقيت هذه المطالبة قائمة مستمرة لغاية عام ١٩٤٣ ، في حين ان المسيحيين كانوا يتمسكون بالحماية الفرنسية . وانتم باكثريتكم من الشباب الذين لا يتذكرون ما كان الجو عليه عام ١٩٤٣ من انقسام شديد بين المسيحيين والمسلمين حين حصلت هذه الاعجوبة ..

وكان لهذه المعجزة ردات فعل شديدة ظلت تتأرجح حتى عام ١٩٤٥ بل حتى اوائل ١٩٤٦ اي الى ان تم الجلاء . يقولون ان هذه المعجزة كانت وليدة ما يسمى بالميثاق الوطني . واذا ما نظرنا الى الوقائع والوثائق المدونة في سجلات التاريخ وفي الصحف وسائر المجموعات الخطية نجد ان اتفاقا شبه صريح كان قد تم بين بشارة الخوري ورياض الصلح وان هذا الاتفاق قد سبقته محادثات بدأت منذ عام ١٩٣٦ ، واقول منذ عام ١٩٣٦ لان هذا العام كان عام المعاهدتين السورية الفرنسية الموقعة في باريس في التاسع من شهر ايلول ١٩٣٦ ، والمعاهدة المماثلة مع فرق كبير لصالح فرنسا الموقعة في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٣٦ في بيروت . منذ ذلك الوقت بدأت هذه المحادثات والمطالبة بالوحدة السورية كانت تشتد كل يوم . واذكر مثلا انه بعد توقيع المعاهدة بايام عديدة قامت مظاهرة شديدة في ساحة الجامع العمري مطالبة بالوحدة السورية واحتجاجا على هذه المعاهدة . ان علينا ان نسجل الامور بشكل موضوعي ، بعيدا عن كل عاطفة وطنية . ان هذه المعجزة او هذا التقارب قد حصل في ظل جو كان متوافقا اوجدته الدول المتحالفة وفي طليعتها انكلترا . وبعد هذا الاتفاق جرت الانتخابات ففاز الحزب الدستوري عام ١٩٤٣ ، وانتخب رئيسا للجمهورية في ٢١ من ايلول سنة ١٩٤٣ الشيخ بشارة الخوري . وبعد ايام تألفت الوزارة الاستقلالية الاولى برئاسة رياض الصلح . وفي ٧ من تشرين الاول القى الرئيس رياض الصلح بيانه الوزاري الشهير ، وكان الشيخ بشارة الخوري في ٢١ ايلول قد القى خطابه الشهير ايضا ثم تتالت الخطب حتى عام ١٩٥٠ الى ان حدث ما حدث.

ان عبارة « الميثاق الوطني » لم تظهر الى الوجود الا في « الحقائق اللبنانية » وهي مذكرات الشيخ بشارة الخوري التي صدرت في اجزائها الثلاثة عام ١٩٦٢ اي قبل عامين من وفاته ونحن نجد في الجزء الثالث من هذه المذكرات التي ينبغي على كل لبناني ان يطالعها ويحتفظ بها في مكتبته بعض المقاطع التي استخرجها بشارة الخوري لنفسه من خطبه المختلفة ، وهذه المقاطع قد وصفها بالميثاق الوطني فاذا عدنا الى هذه الوثائق المختلفة اولا الى خطاب بشارة الخوري في عام ١٩٤٣ ، ثانيا الى البيان الوزاري لرياض الصلح في العام ذاته ثالثا الى خطب بشارة الخوري في الاعوام التالية حتى عام ١٩٥٠ ، نستخرج منها ثلاث وقائع راجت وقد اكدها بشارة الخوري بذاته فيما بعد . هذه الوقائع هي :

اولا ـ التخلي من جانب المسيحيين عن الحماية الاجنبية باشكالها المختلفة وكذلك المسلمين عن فكرة الالتحاق بسوريا .

ثانيا ـ اعتبار لبنان وطنا لجميع اللبنانيين فهم يمارسون حقوقهم السياسية والمدنية بالنسبة الى عدد طوائفهم .

والواقعة الثالثة : هي ان لبنان هو عضو في الاسرة العربية وهي جامعة الدول العربية التي تأسست في عام ١٩٤٥ .

فالفكرة هي ان لبنان عضو في الاسرة العربية بما ان الفكرة العربية وقتئذ كانت غير رائجة في مئات المسيحيين .

انني اود التأكيد هنا ان هذا الميثاق الموصوف بالوطني كان ميثاقا طائفيا ، ميثاقا بين فئتين من الطوائف ، الفئة المسيحية والفئات الاسلامية . بين طائفتين عظيمتين وهما الطائفة المارونية والطائفة السنية . .

فما كانت نتيجته ؟ كانت النتيجة ، ولا سيما بعد الاستقلال ، ان اشتدت الروح الطائفية في هذا البلد . لدرجة ان لا وجود للانسان اللبناني الا في اطار طائفته . فاين المساواة عندما لا يستطيع من خلقه الله في طائفة صغيرة ان ينشد الوصول الى رئاسة الجمهورية او الى رئاسة الوزارة او الى سائر وظائف الدولة ؟ ثم نتغنى بالحرية وبالمساواة وبالديمقراطية .. ان مصير هذا الميثاق اصبح معروفا فنحن اذا كنا من الاجيال الماضية وانا منهم او كنا من الاجيال الصاعدة فاننا لا نقبل بهذا الميثاق الان . ان لبنان امام مفترق من الطرق ، والطريق الوحيد الذي امامه هو ان ينشيء دولة عصرية ديمقراطية علمانية عربية . فرسالة لبنان التاريخية هي ان يثبت ان العروبة غير الاسلام وان العروبة انما هي متلائمة مع روح العصر والعلمانية المطلقة . هذه هي رسالة لبنان اذا شاء ان يبقى حيا .

أحلام مستغانمي

الكتابة في لحظة عري

صوت جزائري جريء يفضح آفات المجتمع العربي

٢٠٠ ق . ل

صدر حديثا